العدد الحادي عشر السنة الثانية

المنار

١٣١٥

يوم السبت ١٧ محرم سنة ١٣١٧ الموافق ٢٧ مايو ـ ايار ـ سنة ١٨٩٩

حياة الاسلام

في مصر

كلما ذاق كأس يأس مرير جاء كأس من الرجا معسول

يزداد في كل يوم طوفان السياسة الانكليزية فيضاناً على مصر فيجرف كل ما يعترض في سبيله ويغمر المصالح ويعلو جميع المنافع حتى انه ليتراءى للمشرف على مجاري سيوله ان الامة المصرية قد غرقت منه في بحر لجي تعلوها أمواجه . وتفيض على ما جاورها اثباجه . فتفقدت بذلك الحياة السياسية . واضاعت المزايا القومية . وانقطعت منها الآمال . في الحال والمآل . حكم ناموس تنازع البقاء العام . الذي لا يقبل النقض بمد الابرام . فيلتهم القوي بمقتضاه حق الضعيف ويسود العالم الجاهل . ويقيس الناظر مصر على الهند وجاوا وسائر البلاد الاسلامية التي اظلتها السلطة الاوربية فحالت بينها وبين كل تقدم وارتقاء

كل هذا يخطر في البال ويجول في فضاء الخيال ولكن حديد النظر بعيد الفكر يعلم ان من مقتضى ناموس تنازع البقاء ايضاً مجاراة كل امة لمجاورتها في اسباب الارتقاء وتقليد القوية للضعيفة في وسائله اذا كانت على علم بها

ولو بالاجمال وكل من سار على الدرب وصل، وان قياس المصريين على الهنديين والجاويين قياس مع الفارق والفرق من وجوه شتى احدها ان الاجانب استولوا على الاولين وهم على جهل تام باحوال الاجتماع البشرى فكان اهم عمل لهم بعد فقد استقلالهم معاداة كل ماعليه الاوربيون من العادات ومحاربة ماعندهم من العلوم والفنون وطرق السياسة والاقتصاد وسائر الشؤون الاجتماعية والمصريون ليسوا كذلك وثانيها انه لم يكن عندهم جرائد حرة تعرفهم بحالهم وماعليهم وماهم فيه ولم يكن لهم روح اجتماع بحيث تتلاقى افكارهم في جو واحد وان تلاقي الافكار في جو واحد نافع وان كان هواؤه فاسداً لان التفرق لا يأتي الا بالشرور والاجتماع ولو على الباطل والخطأ مبدأ للوحدة لما يتوقع بعده من الانتقال الى الاجتماع على الحق والصواب . والمصريون قد سبق لهم اجتماع من عهد قريب باسم الامة والوطن وهو ماكان من امر الثورة العرابية العشواء ثم ماكان من الغيرة على الدولة العلية في حالة الحرب الاخيرة ثم في حالة الاعانة العسكرية الشاهانية فقد ظهر من المصريين في هاتين الحالتين من الاخلاص والغيرة والبذل مع مايعتقدون من عدم ارتياح حكومتهم لذلك مالم يظهر من غيرهم من العثمانيين * ثم ان لهم اجتماعات من دون هاتين كالاحتفال بعيد الجلوس الهمايوني الذى بذلت فيه اموال كثيرة وكالعناية والاهتمام بمحاكمة صاحب جريدة المؤيد التي يعتقد السواد الاعظم بصدق وطنيتها وابتهاجهم بما كان له من التأثير على الحكومة التي كانت خصمه في تلك المحاكمة . وهذا وما قبله ليس بالامر الصغير من شعب هو اشد الشعوب هيبة لحكومته وخضوعا لها وعندهم جرائد يعرفون من مجموعها مالهم وما عليهم نعم ان المهمات منهم يوجهون نظرهم على الحقيقة ويختارون الهزل على

المجد وهذه هي العقبة الكبرى في طريق ارتقاء الجرائد (ثالثها) ان المصريين يمتازون على سائر الشعوب الاسلامية بامرين عظيمين وهما المنافسة وسرعة قبول الاصلاح اذا جاء على يد عظيم محترم المالدينه واما لما يرجى من خيره اويخشى من شره فاذا تسنى لبعض الكبراء فيهم اشراع مناهج الارتقاء الاقتصادي والادبي وان شئت قلت الديني والدنيوي فانهم يلبثون ان يتباروا ويتنافسوا في السباق حتى لاتدرك شأوهم الشعوب الاخرى التي تفوقهم في الهمة والاقدام والثبات كالسوريين وغيرهم

ان امام المصريين وسائر المسلمين سدا منيعاً من الوهم يحول بينهم وبين السير في طريق الترقي فاذا استطاعوا ان يظهروه اوينقبوه ـ ولا أقول ان يدكوه ـ يتسنى لهم الايجاف والايضاع في ذلك المنهاج الواضح والمهيع الواسع وان ذلك السد هو الاعتماد على دولهم وحكوماتهم التي امست اغلالا في اعناقهم وسلاسل في ايديهم وقيوداً في ارجلهم وغشاوة على ابصارهم ووقراً في اسماعهم ورينا على قلوبهم . وكل مانزل بالمسلمين من بلاء فانما نزل من سماء عظمتهم واستبدادهم . وان تعجب فعجب قول من ليس للدولة العثمانية في بلادهم امر ولانهي ولا نفوذ ولاسلطان « ان حياتنا بين يدي المابين !! وان السعادة ستهبط علينا من افق الباب العالي » وهم يعلمون ان البلاد التي تحت جناح المابين ونفوذ الباب العالي تنقص من اطرافها ويتمزق اهلها كل ممزق ولا ينال تلك البلاد واهلها من المابين والباب العالي الا الاعتراض على من مزق الاشلاء وشرب الدماء

ماذا جنى ويجنى اهل جاوا والهند ومصر من الظهور القولي في حب مظاهرة الدولة العثمانية ؟ لعمرك انهم لايجنون الا الحنظل والزقوم فان

هولاندا وانكلترا كلما آنستا منهم اليها ميلاً . او سمعتا منهم فيها قولا . تزيدان عليهم الضغط والاضطهاد . والقهر والاستبداد . اولا يرون ان الدولة لا ترجع اليهم قولا ولا تملك لهم ضراً ولا نفعاً ؟ لا اقول لهؤلاء المسلمين ابغضوا الدولة العثمانية ولكني أقول اذا احببتموها فاكتموا حبها ولا ترجو منها مالا ينال واعتمدوا في رقيكم على المعونة الالهية ثم على جدكم وكدكم وعلمكم وعملكم فان رأيتم من الدولة نهضة فعلية فانهضوا معها ان كنتم صادقين . كل عاشق يحذر العذال والرقباء فكيف لا تحذرون . ألم تعلموا ان الدولة لا ينالها من كثرة لفظكم بذكرها الا مثلما ينالكم من الضغط الاوربي والاضطهاد . نعم ان السلطان يفرح ويسر من خضوعكم له ولهجكم بتمداحه ولكن هل تشترون فرح شخص وسروره بمصالحكم ومصالح الدولة . اقول هذا وانا اعتقد انه لباب النصح الذي يوجبه علينا ديننا واخلاصنا لامتنا ودولتنا ومن بيّن لنا بالبرهان اننا مخطؤون فاننا نرجع الى رأيه . واذا كان القول صواباً فعلى اخواننا المسلمين ان يتدبروه وعلى جرائدهم ان ترجع صداه . والمنتظر من الجرائد الهندية التي تتفضل دائما بترجمة مقالات المنار ان تنقله الى لغتها ليحيط به قراؤها علماً

أيها الاخوان المصريون لا يروعنكم طوفان الاحتلال ولا تقنطوا من النجاح لاستئثار الاجانب بالوظائف والمناصب وعبثهم بالمصالح والمنافع فنجاح وطنكم بالزراعة والاقتصاد وحياة امتكم كلها بالمعارف وان الاسلام ليلتظر منكم مالا ينتظر من سواكم فأنتم اكثر المسلمين بذلاً للدرهم والدينار . وأشدهم منافسة ومباراة في طرق الفخار . تبذلون الالوف والملايين للدنيا وباسم الدين . ولا حاجة للاسلام بعمارة المساجد . فانها تزيد على حاجة

المصابين . ولا لاقامة الموالد . فانها من بدع المحدثين . وليس الفخار بالنفقات الواسعة في الافراح والمآتم . والولائم والوضائم . ولا ببناء القصور (الاحواش) على القبور . وانما حاجة الاسلام - وفيها الفخار الحقيقي والشرف الصحيح - الى بناء المدارس والنفقات الواسعة على تعميم المعارف لكن لا لأجل خدمة الحكومة بل لاجل خدمة الامة أفلا يوجد فيكم ياقوم عاقل فهم هذا ووقف ان على سر تقدم أوربا هو الهبات المالية للعلم فأقدم على العمل لتقدم أمته ؛ ألا يوجد مسلم يوقن بان الله اشترى من المؤمنين اموالهم وانفسهم لاعلاء كلمته ونصرة دينه فيبذل ماله في سبيل الله ؛ ألا يوجد فيكم محب للمحمدة الحقة والمجد المؤثل يعمل عملا كهذا يحتفظ له التاريخ الى الابد . ويكون مفخراً لقومه مابقي منهم احد ؛ بلى ان الاستعداد لهذه الاعمال متأصل فيكم وأنتم احق بها وأهلها ولكن عدت على الروابط العمومية عواد اشتبه بها على الناس سبيل الرشاد * والآن قد حصحص الحق * وبادر الى العمل اهل الاخلاص والصدق * والسابقون السابقون أولئك المقربون *

أول من فتح هذا الباب صاحب السعادة المفضال عثمان باشا ماهر الذي كان رئيس الجمعية الخيرية الاسلامية الى عهد قريب فانه وقف منذ سنين ٢٥٠ فداناً على الازهر الشريف ومنذ أيام الحق بهذا الوقف احد عشر فداناً اخرى ثم وقف بقية اطيانه وهي ٤٤٥ فداناً أو تزيد يبلغ ريعها في السنة نحو الف وخمسمائة جنيه على انشاء مدرسة اسلامية تعلم العلوم الشرعية والآلية من معقول ومنقول وفروع وأصول وقام في أثره الفاضل النبيه علي بك فهمي المهندس المقاول الشهير بالبر والاحسان يشرع في عمل عظيم الا وهو انشاء (دار علوم) على نحو دار العلوم التي انشأها الطيب الذكر

والاثر علي باشا مبارك ناظر المعارف المصرية سابقا (رحمه الله تعالى) على ثقة الحكومه * تعلم فيها العلوم الدينية العالية وجميع الفنون الرياضية والطبيعية التي يتوقف عليها ارتقاء الامة ومجاراتها للامم القوية العزيزة وهذه هي الخدمة الكاملة للاسلام الذي بني على دعائم السعادتين ووضع لفوز الآخذ به بالحسنيين وستكون تلامذتها من نجباء طلاب العلم في الازهر يختارون بالامتحان ويوقف عليها وقفاً يبلغ ريعه في السنة أربعة آلاف جنيه وهذا هو السخاء الحقيقي والكرم الحميد

اذا قام في المصريين عدة رجال مثل هذين الرجلين الكريمين ومثل العالم الفاضل عزتلو علي بك رفاعه (وكيل نظارة المعارف سابقاً) الذي بنى مدرسة في طهطا ووقف عليها مايكفي لقوامها ودوامها ان شاء الله تعالى ومثل الفاضل الهمام سيد احمد بك زعزوع الذي بنى مدرسة للذكور ومدرسة للبنات في بني سويف ووقف عليهما سبعين فدانا من أحسن اطيانه فبمثلهم تنهض البلاد وتحيا الامة واذا حييت مصر فلا ريب ان روح الحياة يسري منها الى جميع العالم الاسلامي * نعم نعم ان الحياة في تعميم العلوم الدينية والدنيوية جميعاً لايكون قاضينا من الاستانه ولا حاجة لنا مع هؤلاء الرجال الاخيار الذين يجودون بالدرهم والدينار * الا الى معلمين اكفاء * ومدرسين احياء * يستخدمون الدين والعلم لكشف الغمة * ونفخ روح الحياة في جسم الامة * ولا يخفى على نبيه * ان فاقد الشيء لايعطيه * فالى هذا نوجه انظار هؤلاء المؤسسين فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى نحو رتبة ينالها أو حكومة يتقرب اليها فهجرته الى ماهاجر اليه